خطاب حال الاتحاد: أفكار عائمة للتغطية على الفشل 'المخزي'!

20-1-2004

وسيرتبط نهج بوش في تبني مشروعات جديدة كبيرة بمجريات الحرب على العراق. وبعبارات أخرى، إذا سارت الأمور على ما يرام في العراق، فإنه لن يحتاج إلى تغيير الموضوع. ولكن إذا لم يحدث ذلك، فإن المحللين يقولون إنه قد يكون هناك إغراء بتغيير الموضوع

في الوقت الذي يتنافس فيه المرشحون الديمقراطيون على منصب الرئيس، فإن بوش وكبار مستشاريه يتأملون في أفكار "جذابة" محتملة لطرحها في خطاب حالة الاتحاد الذي سيلقيه بوش اليوم ليكون الانطلاق الضمني لحملته الانتخابية. بعض المبادرات تم وضعها على منصة الإطلاق بالفعل، ومنها اقتراح بوش بإجراء تعديلات واسعة على سياسة الهجرة إلى أمريكا، والتي تشمل تسوية الوضع القانوني لملايين المهاجرين الذين لا يملكون أوراقا قانونية موثقة. وفي هذا الصدد يقول بروس بوكانان، وهو أستاذ في العلوم السياسية بجامعة تكساس في أوستن إن مستشاري بوش "يعتقدون أن الرئاسة تتعلق بالأمور الكبيرة، وكانوا ينظرون بعين الازدراء إلى حد ما إلى النهج الضيق والمختزل لإدارة كلينتون في فترته الرئاسية الثانية، وهم مدفوعون في جانب من ذلك بفعل السياسة، ولكن أيضا بفعل الايدولوجيا والشعور بأنهم يعرفون الأفضل". وفي الشهر الماضي طفت على السطح مجموعة من الأفكار "الكبيرة" - جميعها كانت عائمة ليس إلا، ولم يكن أي شيء منها متماسكا- على لسان مسئولين في الإدارة لا يتحدثون إلا من أجل أن ينسب لهم الكلام. وأبرز تلك الأفكار كان العودة المحتملة إلى الرحلات الاستكشافية المأهولة إلى القمر، وهي فكرة يبدو أنها قد اختفت بشكل مفاجيء مثلما عاودت الظهور.

وتتضمن بالونات الاختبار الأخرى مبادرة لوضع حد للمجاعة في أوساط الأطفال وإيجاد علاج للسرطان وتأمين صحي شامل للأطفال، وبصورة أكثر توسعاً هي بذل جهد لتأمين الـ 44 مليون أمريكي الذين لا يغطيهم التأمين الصحي. كانت الفترة الرئاسية الأولى لبوش مستنزفة بمبادرات تبدو "كبيرة"، من ضمنها عقيدة الدفاع الاستباقي التي استخدمت لتبرير غزو العراق، كما أن إدارته قامت بإقرار مشروع إصلاح تعليمي كبير وتقديم إعانة مالية بقيمة 400 مليار دولار لمؤسسة "ميديكير" للرعاية الصحية من أجل الأدوية التي تصرف بوصفة طبية. ومن الممكن أن يُتهم بوش أيضا بمعاناته من اضطراب في عجز الانتباه الرئاسي، ويواجه بوش موجة من الانتقاد في أوساط بعض المحافظين الماليين في حزبه بسبب القفزة الكبيرة في عجز الموازنة، فعندما تولى بوش الرئاسة عام 2001، كان حجم فائض في الميزانية الأمريكية يقدر بـ 127 مليار دولار، في حين بلغ حجم العجز في الميزانية الأمريكية في عام 2003، 374 مليار دولار، وإذا كان 88 في المئة من الأمريكيين سيوفرون أقل من مئة دولار من الضرائب عام 2006 نتيجة لتخفيضات الضرائب التي أعلن عنها بوش، فإن ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي سيوفر في المقابل 116 ألف دولار سنويا نتيجة لتخفيضات الضرائب نفسها!.

ويقول ستيفن هيس الباحث في شئون الرئاسة بمعهد بروكنغز: "إن الأمر يحمل بصمة روف تماما"، في إشارة منه إلى كارل روف كبير المستشارين السياسيين للرئيس بوش. ويضيف هيس قائلا: "إنه يقوم بالأفعال بصورة أروع مما يقوم به معظم الاستراتيجيين السياسيين، ويبدو

أن اهتمامه لا ينحصر في إعادة انتخاب بوش فحسب، وإنما يمتد أيضاً إلى انتخاب نوع من الأغلبية الدائمة للجمهوريين".

وسيرتبط نهج بوش في تبني مشروعات جديدة كبيرة بمجريات الحرب على العراق. وبعبارات أخرى، إذا سارت الأمور على ما يرام في العراق، فإنه لن يحتاج إلى تغيير الموضوع. ولكن إذا لم يحدث ذلك، فإن المحللين يقولون إنه قد يكون هناك إغراء بتغيير الموضوع.

ويتذكر فريد غرينشتاين الباحث في شئون الرئاسة بجامعة برنستون كيف أن اقتراح الرئيس كنيدي بالذهاب إلى القمر، جاء مباشرة في أعقاب الغزو الكارثي لخليج الخنازير. ويقول غرينشتاين أن مستشار كنيدي تيد سورنسين اعترف بأن الرئيس "اضطر أن يفعل شيئاً" لتحويل الانتباه.

ويقول البروفيسور بيوكانان من جامعة تكساس: "لديهم نوع من المأزق المزدوج مع العراق، فهي من نواح معينة تعتبر أكثر تجربة طموحة للسياسة الخارجية على الإطلاق، ولكنها من جهة أخرى، تشكل عائقاً معيناً. ومن هنا، فإن من الضروري أن يكون هناك تحويل معين للانتباه، وإحدى الطرق للقيام بذلك هي النظر إلى المستقبل".

وإن بوش لن يشير إلى فشله المخزي في التوصل لأسلحة الدمار الشامل والتي كانت السبب الرئيسي المعلن للحرب على العراق، لكنه سيركز على اعتقال صدام حسين، وقرار ليبيا التخلي عن برنامجها لتطوير أسلحة الدمار الشامل باعتبارهما أمثلة على حكمة قراره بغزو العراق، ولكنه لن يتوقف هناك، كما يقول بيوكانان. ويضيف قائلاً: "على الرغم من أن السياسة الخارجية ستكون حتما جزءا كبيرا من هذه الانتخابات، إلا أن الانتخابات تتعلق أيضا بالطموحات المحلية، وفي هذه القضايا أعتقد أنهم سيبحثون عن عون، إن جاز لنا التعبير".

ويبدو أن بوش متأثر بريغان في مسألة العهدة الرئاسية الثانية، إذ إن ريغان أظهر على الأقل أن الفترة الثانية يمكن أن تكون منتجة على نحو مذهل: فقد عقد أربع قمم مع الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشوف وأشرف على نهاية الحرب الباردة، ومثلما نظر الرئيس بوش الحالي إلى ريغان من نواح أخرى كنموذج للقيادة، فإنه ألمح أيضا إلى أنه يأمل بمحاكاة الرئيس الأربعين في خططه "الجريئة" للفترة الرئاسية الثانية.

وعلى ما يبدو، فإن كلمة بوش لن تقدم جديدا، لكنها ستسعى لتصوير بوش على أنه القائد الذي وحد الأمة مما يجعله مختلفا عن المرشحين الديمقراطيين الذين يخوضون معارك داخلية فيما بينهم.